انتصاراً لأم البنين

هل كان للخنساء أربعة بنين

استشهدوا في معركة القادسية

تحقيق

محمد اليعقوبي

كلمة لا بد منها

بب

كتبت هذا التحقيق قبل اثنتي عشرة سنة يوم كان كل زادي من العلم هو المطالعات في الكتب المختلفة إذ لم يتم انتمائي حينئذ إلى الحوزة العلمية الشريفة فعلاً، وقد ارتأيت ان أبقيه على حاله لأمرين :

١- لكي يبقى تذكاراً لتلك الفترة من حياتي وقد جُبِلَ الإنسان على حب ذكرياته والتعلق بها والاحتفاظ بكل ما يمت إلى ماضيه بصلة .

٢- إن إعادة النظر فيه وإصلاح ما ينبغي إصلاحه يتطلب جهداً أنا محتاج إلى صرفه في أولوياتي الأخرى.

واعتقد ان مجموع هذين الأمرين مبرر كاف لإصدار البحث على حاله .

وهذا لا يعني ضعفاً في مستواه فأنا مقتنع الآن بأنه تحقيق نافع يكشف الستار عن كذب واحدة من الروايات التاريخية المشهورة ليفتح الباب واسعاً أمام المحققين لإعادة النظر في كثير من القضايا الموروثة وان اكتسبت رسوخاً وقدسية لينتصف المظلوم ويعود الحق إلى نصابه.

وليست هذه المحاولة بأقل عمقاً من المستوى الذي كتبت به أمثاله (كمئة وخمسون صحابي مختلق) ونظائره وفيه جهد لا يستهان به .

نسأل الله تعالى ان يأخذ بأيدي علمائنا ومفكرينا ومثقفينا ويهديهم إلى ما فيه نفع الأمة وصلاحها وتشخيص أدوائها ودوائها ، انه نعم الموفق ونعم المستعان.

محمد اليعقوبي

النجف الأشرف

١١ صفر ١٤٢٠

امتدت يد التحريف إلى مختلف العلوم الإسلامية تعصباً لمذهب أو حقداً على آخر وكيداً له أو مملقاً لذي مال أو جاه ونحوها ، وكان التاريخ الإسلامي أحد المجالات الخصبة لهؤلاء المحرفين ، ورغم ان الحقائق التاريخية لابد ان تظهر لان التلفيق والتزوير لا يصمد أمام التحقيق والتمحيص إلا ان بعضاً من هذا الكذب ظل متخفياً بلباس الشهرة وكثرة التداول و (رب مشهور لا اصل له) إلى ان تجند الأمانة العلمية والحقائق التاريخية من يميز الغيث من السمين وعندئذ يذهب الزبد جفاء أما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

ولا ادري كيف سرى لي الشك والقدح في صحة الرواية عنوان البحث إلا أني وفي إحدى لحظات التأمل ألهمت ان الرواية موضوعة وان لا مقيل لها من الصحة فطفقت ابحث وأنقب في كتب التاريخ والرجال والحديث عن متن الرواية وسندها ... فماذا وجدت ؟! وجدت رجال الرواية بين كذاب ووضاع ومنكر الحديث ومجهول وفي أحسن الأحوال تساوت فيه أحاديث الجرح والتعديل .

وأما متن الرواية فمضطرب ويتعارض مع نفسه ومع حقائق أخرى تتصل به . ومالي استعجل ذكر النتيجة، وبين يدي القارئ تمام ما توصلت إليه من بحث وتنقيب ليتولى الحكم بنفسه .

وقد يتفق القارئ معي على صحة ما توصلت إليه لكنه لا يقبل التصديق بان الرواية موضوعة لشهرتها ولعدم سماع ما يقدح فيها ، لكن ما العمل والخطب جليل والحقيقة العلمية يجب ان نقبلها وان لم تجد في أنفسنا هوى وقبول ثم ألم تسمع أو تقرأ ما احتوى عليه التاريخ من خلط الحابل بالنابل وتبديل الكذب صدقاً والصدق كذباً ؟ ويكفي ان تعلم ان من بين صحابة الرسول (ص)مئة وخمسون صحابياً مختلقاً[1] بكل تفاصيل سيرتهم وهذا الرقم يمثل ما توصل إليه مؤلف هذا الكتاب فقط وان مجموع بعض الروايات الموضوعة والمقلوبة والتي اتفق على كذبها بلغ اكثر من أربعمائة ألف حديث[2]وقد عد العلامة الأميني سبعمائة راوٍ ومحدث من

---

[1] عنوان كتاب للسيد مرتضى العسكري.

[2] الغدير للعلامة الأميني مج٥ ص٢٩٠ .

المتفق على افترائهم [٣]وهذه نماذج لما احتوت هذه الفترة من التاريخ الإسلامي من مفتريات وأباطيل نسجها الوضاعون والكذابون تحت أغراض شتى .

والرواية عنوان البحث إن صحت تمثل جانبا مشرقا من حياة المسلمين وموقفاً بطولياً مليئاً بالإيمان والتضحية في سبيل المبادئ الحقة هو ليس الوحيد ... ولئن تطرق الشك إلى صحة وقوعه فله نظير متفق عليه ذلك هو إيثار أم البنين بنت حزام[١] الكلابية زوجة أمير المؤمنين عليه السلام وتفانيها في سبيل المبدأ حين استشهد لها أربعة بنين أحدهم أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام بين يدي أخيهم الحسين عليه السلام في معركة الطف يوم عاشوراء لكن التاريخ ولأسباب غير مجهولة تناسى هذا الموقف العظيم وصاغ من خيالات الوضاعين والكذابين ما يشابهه حنقاً وغيظاً ينسب الفضل إلى أهله ولكن يريدون ان يطفئوا نور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره محرفو الكلم عن مواضعه .

واليكم نص الرواية مع مناقشة سندها ومتنها وليعط الحاكم النَصَف من نفسه والله من ورائهم شهيد .

نص الرواية

في الاستيعاب لابن عبد البر[١] في ترجمة الخنساء ، وفي الإصابة لابن حجر [٢]جمعاً بين النصين :

((ذكر الزبير بن بكار عن محمد بن الحسن المخزومي وهو المعروف بابن زبالة أحد المتروكين عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه عن أبي وجزة عن أبيه قال حضرت الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال فقالت لهم من أول الليل يا بني إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ووالله الذي لا اله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد كما

---

[٣] الغدير مج٥ ص٢٠٩-٢٧٥ .

[١] أو حزام على خلاف وتمام التحقيق في كتابنا المحظوظ عن أم البنين .

[١] المطبوع هامش الإصابة لابن حجر مج٤ ص٢٩٥ .

[٢] مج٤ ص٢٨٧ كتاب النساء ، حرف الخاء من القسم الأول .

إنكم بنو امرأة واحدة ما خنت اباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم وقد تعلمون ما اعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين واعلموا ان الدار الباقية خير من الدار الفانية يقول الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) فان أصبحتم غدا ان شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائكم مستنصرين فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطرمت لظى على سياقها وجللت ناراً على أروافها فتيمموا وطيسها وجالدوا رسيسها عند احتدام وطيسها تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة ، فخرجوا قابلين لنصحها عازمين على قولها فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم وانشأ أولهم يقول :

يا أخوتا إن العجوز الناصحة

قد نصحتنا إذ دعتنا البارحة

مقالة ذات بيان واضحة

فباكروا الحرب الضروس الكالحة

وإنما تلقون عند الصائحة

من آل ساسان الكلاب النابحة

قد أيقنوا منكم بوقع الجائحة

وانتم بين حياة صالحة

أو ميتة تورث غنما رابحة

وتقدم فقاتل حتى قتل رحمه الله ثم حمل الثاني وهو يقول :

ان العجوز ذات حزم وجلد

والنظر الاوفق والرأي السدد

قد أمرتنا بالسداد والرشد

نصيحة منها وبراً بالولد

فباكروا الحرب حماة في العدد

اما لفوز بارد على الكبد

أو ميتة تورثكم عز الأبد

في جنة الفردوس والعيش الرغد

فقاتل حتى استشهد ثم حمل الثالث وهو يقول :

والله لا نعصي العجوز حرفاً

قد أمرتنا حرباً وعطفاً

نصحاً وبراً صادقاً ولطفاً

فبادروا الحرب الضروس زحفاً

حتى تلفوا آل كسرى لفاً

أو يكشفوكم عن حماكم كشفاً

إنا نرى التقصير عنكم ضعفاً

والقتل فيكم نجدة وزلفاً

فقاتل حتى أستشهد ثم حمل الرابع وهو يقول :

لست لخنساء ولا للاخرم

ولا لعمرو ذي السناء الأقدم

إن لم أرد في الجيش جيش الأعجم

ماض على الهول خضم خضرم

إما لفوز عاجل ومغنم

أو لوفاة في السبيل الأكرم

فقاتل حتى قتل رحمة الله عليه وعلى أخوته فبلغها الخبر فقالت الحمد لله شرفني بقتلهم وأرجو من ربي ان يجمعني بهم في مستقر رحمته.

مناقشة السند

رجال السند ستة وهم :

١- الزبير بن بكار .

٢- محمد بن الحسن المخزومي المعروف بابن زبالة .

٣- عبد الرحمن بن عبد الله العمري .

٤- أبو عبد الرحمن عبد الله العمري .

٥- أبو وجزة السعدي الشاعر .

٦- أبو أبي وجزة .

١- الزبير بن بكار :

في ميزان الاعتدال للذهبي[١]: الإمام صاحب النسب قاضي مكة من اوعية العلم لا يلتفت إلى قول احمد بن علي السليماني حيث ذكره في عداد من يضع الحديث .

وقال مرة : منكر الحديث .

وفي الجرح والتعديل للرازي[٢]: الزبير بن بكار : رأيته ولم اكتب عنه وفي تهذيب التهذيب لابن حجر[٣] قال ابن أبي حاتم كتب عنه أبي بمكة ورأيته ولم اكتب عنه ، وقال احمد بن علي السليماني في كتاب الضعفاء له كان منكر الحديث وهذا جرح مردود ولعله استنكر إكثاره عن الضعفاء مثل محمد بن الحسن بن زبالة المخزومي فان في كتاب النسب عن هؤلاء أشياء كثيرة منكرة .

٢- محمد بن الحسن المخزومي :

في تهذيب التهذيب لابن حجر[١]: محمد بن الحسن بن زبالة وهو ابو الحسن المخزومي المدني عن ابن معين انه كذاب خبيث لم يكن بثقة ولا مأمون يسرق، قال احمد بن صالح المصري كتبت عنه مئة ألف حديث ثم تبين لي انه كان يضع الحديث فتركت حديثه ، وقال الاجري عن أبي داود : كذابا المدينة محمد بن الحسن بن زبالة ووهب أبو البختري ، وقال الدار قطني متروك .

وقال ابن حبان كان يروي عن الثقات ما لم يسمع منهم ، وقال الخليلي روى عن مالك مناكير وهو ضعيف ، وفي الجرح والتعديل للرازي[٢] محمد بن الحسن المخزومي ذاهب الحديث منكر الحديث ، ومر بك في متن الرواية قول ابن حجر عند نقله لها عن المخزومي بأنه أحد

---

[١] مج ٢ ص٦٦ عدد ، ٢٨٣ .

[٢] مج٣ ص٥٨٥ .

[٣] ج٢ ص٣١٢ .

[١] ج٩ ص١١٥ .

[٢] ج٧ ص٢٢٨ .

المتروكين وفي الغدير للأميني[1]كذاب متروك واهي الحديث نسب إلى وضع الحديث وفيه أيضاً [2] :

ابن زبالة : قال الحافظ احمد بن صالح كتبت عنه مئة ألف حديث ثم تبين لي انه كان يضع الحديث فتركت حديثه.

٣- عبد الرحمن بن عبد الله :

عثرت على أسماء كثيرة تحت هذا العنوان فاتبعت عدة نقاط لمعرفة الراوي المقصود وهي :

١- تتبع أسماء من يروى عنهم ومن يروون عنه .

٢- ملاحظة الزمن وتاريخ حياته وعدد الوسائط .

٣- ان يكون أبو الراوي راوياً حيث ورد في السند انه ينقلها عن أبيه .

فانطبقت هذه المواصفات على عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن حفص العمري المدني .

في ميزان الاعتدال للذهبي[1] عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن حفص العمري المدني هالك قال يحي بن معين سمعت منه مجلساً وهو ضعيف ، وقال احمد ليس يسوى حديثه شيئاً ، سمعت منه ثم تركناه، أحاديثه مناكير وكان كذاباً فمزقت حديثه ، وقال النسائي متروك ، قال ابن عدي : عامة ما يرويه مناكير أما متناً وأما إسناداً ، وفي الجرح والتعديل للرازي[2] عبد الرحمن بن عبد الله العمري متروك الحديث كان يكذب .

وفي تهذيب التهذيب[1] عبد الرحمن بن عبد الله العمري قال أبو طالب عن احمد ليس بشيء وقد سمعت منه ومزقته وكان يقلب حديث نافع عن ابن عمر وقال عبد الله بن احمد عن أبيه أحاديثه مناكير كان كذاباً ، وقال الجوزجاني القاسم وعبد الرحمن العمريان منكراً الحديث جداً .

وفي الغدير للأميني[2] عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر العدوي كان كذاباً يقلب الاحاديث متروك الحديث حديثه أحاديث مناكير كان كذاباً متروكاً لا يحتج به .

---

[1] ج٥ ص٢٥٦ عن مجمع الزوائد للهيثمي ٣٠٦/١ واللآلىء المصنوعة للسيوطي ٧١/٢ .

[1] ج٥ ص٢٧٣ عن تاريخ الخطيب البغدادي ٢٠٠/٤ .

[1] مج ٢ ص٥٧١ ترجمة ٤٩٠٠ .

[2] ج٥ ص٢٥٣ .

[1] ج٦ ص٢١٣ .

٤- عبد الله بن عمر بن حفص العمري المدني:

في ميزان الاعتدال للذهبي[٣]عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العمري المدني أخو عبيد الله ، صدوق في حفظه شيء ، روى عن نافع وجماعة ، وقال ابن المديني : عبد الله ضعيف ، وقال ابن حبان كان ممن غلب عليه الصلاح والعبادة حتى غفل عن حفظ الاخبار وجودة الحفظ للاثار فلما فحش خطأه استحق الترك ، مات سنة ١٣٧ هـ .

وفي تهذيب التهذيب لأبن حجر[١] قال ابن حبان كان ممن غلب عليه الصلاح حتى غفل عن الضبط فأستحق الترك وقال الترمذي في العلل الكبير عن البخاري ذاهب لا اروي عنه شيئاً وقال البخاري في التاريخ كان يحي بن سعيد يضعفه وقال أبو احمد الحاكم ليس بالقوي عندهم وقال المروذي ذكره فلم يرضه.

٥- أبو وجزة :

في تهذيب التهذيب[٢] أبو وجزة اسمه يزيد بن عبيد المدني أبو وجزة السعدي الشاعر ، وقال[٣] مات سنة ١٣٠ هـ وهو ثقة قليل الحديث شاعراً عالماً وفي الجرح والتعديل للرازي[١] أبو وجزة السعدي كان شاعراً لم يذكر أباه في من روى عنه .

٦- أبو أبي وجزة :

يفترض أن اسمه عبيد المدني السعدي – من اسم ابنه أبي وجزة – ولا يوجد أحد بهذا الاسم في معاجم الرجال ، نعم هناك ذكر لجد

---

[١] ج٥ ص٢٣٦ عن تاريخ الخطيب البغدادي ٢٣١/١٠ ونصب الراية للزيلعي الحنفي ٦٠/١ .

[٢] مج٢ ص٤٦٥ ترجمة ٤٤٧٢ .

[١] ج٥ ص٣٢٦ .

[٢] قسم الكنى ج١٢ ص٢٧١ .

[٣] ج١١ ص٣٤٩ .

[١] ج٩ ص٢٧٩ وفي ميزان الاعتدال للذهبي (ج٤ ص٤٣٤) أبو وجزة السعدي مقل سكتوا عن توثيقه وتضعيفه روى عن عمر بن أبي سلمة والظاهر انه لم يسمع منه فقد اخرج النسائي له عن رجل عن عمر (وهذا هو التدليس) .

أبي وجزة ويكنى بابي وجزة أيضاً ، قال ابن حجر[٢] لـه إدراك وقال ابن عساكر أظنـه جد أبي وجزة الشاعر.

استنتاج

بعد سير أحوال رجال السند يتضح لنا ان أكثرهم كذاب وضاع متروك الحديث أو مجهول وفي أحسن الأحوال تساوت فيه أقوال الجرح والتعديل وان وجود أحدهم كابن زبالة المخزومي يكفي لطرح الرواية وإهمالها .

والآن هلموا معي لمناقشة المتن وأمور تتعلق به تحت عناوين منفصلة والله المسدد:

مناقشة المتن

١- لم يكن للخنساء أربعة بنين من زوج واحد كما تنص الرواية فقد ولد لها من زوجها الأول وهو رواحة بن عبد العزى السلمي ولدها الأكبر عبد الله وهو أبو شجرة ولها من زوجها الثاني مرداس بن أبي عامر السلمي ثلاثة بنين وبنت واحدة وقد اختلف في أسمائهم فقيل معاوية ويزيد وعمراً وعمرة[١] وقيل سراقة وحزن وعمرو[٢] أما العباس بن مرداس فهو ابن زوجها وعليه اكثر المؤرخين وأهل التراجم الأولين حتى إن ابن قتيبة جعل العباس متقدماً زمناً على الخنساء[١] وللعباس أخ من غير الخنساء اسمه شداد لـه قصة مع أختـه عمرة[٢] أما من قال انـه ابن الخنساء فلجهلـه بـان الخنساء تزوجت اثنين أحدهما مرداس الذي كان قد تزوج قبل الخنساء ، وكانت عمرة أخت العباس لأبيه تحب أخاها كما كانت أمها الخنساء تحب أخاها لأبيها صخراً ولما مات العباس رثته أخته عمرة بأبيات منها :

لتبك ابن مرداس على ما عراهم

عشيرته إذ حم أمس زوالها

لدى الخصم إذ عند الأمير كفاهم

---

[٢] الإصابة مج٤ ص٢١٨ قسم الكنى .

[١] الشعر والشعراء لابن قتيبة ٣٤٣/١.

[٢] الفرائد الغوالي للجواهري : مج٧ ص١٧.

[١] الشعر والشعراء ٣٠٠/١ ، ٣٤٣/١.

[١] الخنساء شاعرة بني سليم للدكتور محمد جابر عبد العال الجبني ص٧٨، الفرائد الغوالي ج٣ ص١٤٠.

فكان إليها فصلها وحلالها

ومعضلة للحاملين كفيتها

إذا أنهكت هوج الرياح طلالها[٣]

٢- ان أبناء الخنساء توفوا أو قتلوا في تواريخ مختلفة وفي غير معركة القادسية التي حدثت سنة ١٤هـ .

فالعباس – على فرض انه ابن الخنساء – توفي سنة ١٨ في بادية البصرة[١] ويزيد قتل اخذا بثار قيس بن الأسلت ولشقيقته عمرة شعر في رثائه منه قولها :

أجد ابن أمي ان لا يؤوبا

وكان ابن أمي جليداً نجيبا

تقياً نقياً رحيب المقام

كمياً صليباً لبيباً خطيبا[٢]

حليماً أريباً إذا ما بدا

سديد المقالة صلباً دريبا

٣-ان أبا شجرة وهو ابن الخنساء من زوجها الأول كان ممن ارتد عن الإسلام بعد وفاة الرسول (ص) يقول الطبري في تاريخه[١] وقد كان لحق فيمن لحق من بني سليم بأهل الردة، أبو شجرة بن عبد العزى وهو ابن الخنساء وذكر له أبياتاً من الشعر هي :

صحا القلب عن مي هواه واقصرا

وطاوع فيها العاذلين فابصرا

واصبح أدنى رائد الجهل والصبا

كما ودها عنا كذاك تغيرا

واصبح أدنى رائد الوصل منهم

---

[٣] الخنساء شاعرة بني سليم للجبني ص٩٧.

[١] الإعلام للزركلي ٣٩/٤ عن الاصابة وطبقات ابن سعد وتهذيب التهذيب والشعر والشعراء وغيرها.

[٢] الخنساء شاعرة بني سليم ص٩٧.

[١] حوادث سنة ١١ هـ، ج٣ ص٢٣٥ طبعة بيروت.

كما حبلها من حبلنا قد تبترا

ألا أيها المدلي بكثرة قومه

وحظك منهم ان تضام وتقهرا

سل الناس عنا كل يوم كريهة

إذا ما التقينا دارعين وحسرا

انسنا نعاطي ذا الطماع لجامة

ونطعن في الهيجا إذا الموت أقفرا

وعارضة شهباء تخطر بالقنا

ترى البلق في حافاتها والسنورا

فرويت رمحي من كتيبة خالد

واني لأرجو بعدها ان اعمرا

ويظهر من هذه الأبيات إن أبا شجرة يحمل حقداً وحنقاً على الإسلام شديداً وانه شفى غيظه منهم ويرجو باستهزاء ان يعمر اكثر ليلغ اكثر من دمائهم، يقول الطبري عقب هذه الأبيات بأنه اسلم ودخل فيما دخل فيه الناس رغم انه ذيل كلامه هذا مما لا ينسجم معه إلا ان نقول انه اسلم مكرها بعد ان ضاقت عليه الأرض مما رحبت ، يقول الطبري ما ملخصه ان أبا شجرة أتى عمر بن الخطاب وهو يعطي المساكين من الصدقة فقال يا أمير المؤمنين اعطني فإني ذو حاجة قال ومن أنت قال أنا أبو شجرة بن عبد العزى، قال أبو شجرة أي عدو الله الست الذي تقول :

فرويت رمحي من كتيبة خالد

وإني لأرجو بعدها ان اعمرا

قال ثم جعل يعلوه بالدرة في رأسه حتى سبقه فرجع إلى ناقته فأرتحلها ثم اسندها في حرة شوران راجعاً إلى ارض بني سليم فقال :

ضن علينا أبو حفص بنائله

وكل مختبط يوماً له ورقُ

ما زال يرهقني حتى خذيت له

وحال من دون بعض الرغبة الشفق

لما رهبت أبا حفص وشرطته

والشيخ يفزع أحياناً فينحمق

إلى آخر الأبيات.

فمتى اسلم وحسن إسلامه حتى يبلي البلاء الحسن في معارك الفتح الإسلامي ويستشهد في معركة القادسية التي حدثت في أوائل خلافة عمر .

٤- لا وجود للرواية في كتب الاقدمين سواء منها كتب التراجم والسير أو كتب التاريخ المطولة منها والمختصرة رغم ان خبرا كهذا يطير صيته ولا يغفل عنه مسجلو الحقائق ، وانفرد بذكرها الزبير بن بكار عن رواته المجهولين الكذابين الوضاعين .

٥- لو صح هذا الخبر لكان أحرى بالخنساء أن تمجده وتسجله في شعرها بدلاً من ان تبقى راثية أخويها الذين قتلا في الجاهلية صخر ومعاوية ولها نظم فيهما متأخر عن معركة القادسية[1].

٦- إن صبغة التصنع والتكلف بادية على الوصية خصوصاً في جزئها الأخير وما أشبهها بصناعة القصاصين وأهل المقامات الذين راج سوقهم في العصر العباسي.

٧- أثناء بحثي هذا في مصادر الكتب وجدت اثنين من الكتاب المتأخرين وهما الدكتورة بنت الشاطىء والدكتور محمد جابر عبد العال الجبني يشككان في صحة الرواية ، أما بنت الشاطىء فتشكك في صحة صدور وصية الخنساء لبنيها وأما الجبني فانه يتهم الرواية كلها بالوضع ، وأنا أسجل ما قالا محتفظاً لهما بما توصلا إليه.

تقول الدكتورة بنت الشاطىء[1] ((والرواة مجمعون على ان عددهم أربعة وان لم يحددوا بالضبط أسمائهم وحين نحاول هذا يلقانا عنت من اضطراب الروايات فابن قتيبة (الشعر والشعراء : ٣٠١/١) يذكر انها ولدت لمرداس ثلاثة بنين :زيداً ومعاوية وعمراً وبنتاً واحدة فهل كان رابعهم أبا شجرة ابن عبد العزى وقد تاب من الردة ، لكن الخنساء تقول في وصيتها

---

[1] ديوان الخنساء ص١٢٦،١٠٣ وغيرها.

[1] الخنساء ص٤٠ نقلناها بواسطة كتاب (الخنساء شاعرة بني سليم) للجبني ص٧٦.

لهم : إنكم بنو أب واحد وأم واحدة فالأربعة إذن أشقاء وقد نجد مخلصاً في اتهام هذه الوصية بالوضع وإنها في الحق لظاهرة التكلف لكنا لا نملك ان نقطع هنا باليقين)).

ويقول الدكتور الجبني[1] : ((ذهبت القصص عن الخنساء إنها رافقت بنيها الأربعة حين ضرب البعث على المسلمين فذهبت معهم وأوصتهم في وقعة القادسية وهذه الوصية ترد في المصادر على ثلاثة ألوان أما مشاراً إليها كما نرى في تاج العروس الذي يقول (وروي انها شهدت القادسية ومعها أربعة بنين فلم تزل تحضهم بكلام فصيح فأبلوا بلاء حسناً واستشهدوا فكان عمر رضي الله عنه يعطيها ارزاقهم).

وأما باختلاف في النص كما أورد صاحب أعلام النساء (ج١ ص٣١٣ وص٣١٤ وص٣١٥) الذي اختلف مع غيره فلم يذكر انهم بنو أب واحد وأم واحدة واتفق مع الآخرين بعد ذلك ولعله اسقط القول بأنهم بنو أب واحد لعلمه بان أحدهم – وهو أبو شجرة – من أب والباقون من أب آخر.

وأما اختلاف بحذف بعضها كاختلاف ابن حجر الذي قدَّم وأخَّر في بعض العبارات وجاء بالوصية مختصرة فإذا تغاضينا عن هذا الاختلاف السطحي لأنه لا يسقط النص وجدنا صاحبة الدر المنثور تتفق مع ناشر ديوان الخنساء ص١١ في نص الوصية (في ص١١١) وهي كما يوردها على الوجه الآتي : (وكان للخنساء أربعة بنين فلما ضرب البعث على المسلمين بفتح فارس صارت معهم وهم رجال وحضرت وقعة القادسية سنة ١٦ هـ[1] وسنة ٦٣٨م وأوصتهم من الليل بقولها : يا بني إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ووالله الذي لا اله إلا الله هو إنكم لبنو رجل واحد كما إنكم بنو امرأة واحدة ما هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم واعلموا ان الدار الآخرة خير من الدار الفانية اصبروا وصابروا واتقوا الله لعلكم تفلحون فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها وجللت ناراً على أرواقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رسيسها تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة) .

فلما أضاء لهم الصبح باكروا إلى مراكزهم فتقدموا واحداً بعد واحد ينشدون أراجيز يذكرون فيها وصية العجوز لهم حتى قتلوا عن آخرهم فبلغ الخبر إليها فقالت :

---

[1] الخنساء شاعرة بني سليم للجبني ص٨٧-٨٩.

[1] وهذا وهمٌ لأن القادسية حدثت سنة ١٤ هـ كما في تاريخ الطبري وغيره.

(الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي ان يجمعني بهم في مستقر الرحمة).

وأنا اتفق مع الدكتورة بنت الشاطىء على ان هذه الوصية ظاهرة التكلف وأضيف إنها لو كانت صحيحة لما غفل القدماء عن ذكرها أو الإشارة إليها على الأقل وإذا عرفنا بعد ذلك ان من رواتها محمد بن الحسن المخزومي المعروف بابن زبالة الذي نص ابن حجر في الإصابة (ج٨ ص٦٧) على انه أحد المتروكين رجح لدينا أنها موضوعة وان واضعها يتميز بأمرين واضحين : أحدهما : جهله بتاريخ الخنساء أنها تزوجت اثنين ولدت اكبر بنيها من رواحة بن عبد العزى والباقين من مرداس بن أبي عامر وجهله ايضاً :

بتاريخ اكبر بنيها فانه اسلم وارتد ولم يعد إليه إلا مرغماً بعد ان ضاقت الدنيا في وجهه فعاد معلناً التوبة وذلك واضح من تاريخ أبي شجرة عبد الله الذي ذكره الطبري في أحداث سنة ١١)). انتهى موضع الحاجة .

ثم وجدت للدكتور احمد الربيعي تحقيقاً نافعاً[1] نلخص منه قوله ((لقد وقع كثير من القدماء والمعاصرين الذين ترجموا حياة العباس بن المرداس السلمي في أخطاء فاحشة عندما ظنوا ان أمه تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية الشاعرة الجاهلية التي اشتهرت برثائها لأخيها صخر وعندما ظنوا ان الخنساء هذه حضرت مع أربعة من أولادها يوم القادسية وعندما ظنوا ان أولادها استشهدوا في هذا اليوم .

فالصحيح ان أم العباس بن المرداس أمة زنجية سوداء لا نعرف اسمها وان تماضر الخنساء ماتت في الجاهلية وان الخنساء التي شهدت القادسية هي الخنساء بنت عمرو النخعية القحطانية اليمانية ، وان أبنائها الأربعة لم يستشهدوا بل قاتلوا حتى فتح الله على المسلمين فعادوا إلى أمهم سالمين.

وقد كان للمرداس ثلاثة زوجات إحداهن تماضر الخنساء وكان لتماضر أربعة أزواج غير المرداس ، أحدهم عبد الله بن رواحة السلمي ولها منه ولد واحد هو أبو شجرة عبد العزى وقد حاول اغتيال عمر لولا الشرطة الواقفة على رأسه وله في ذلك شعر (الكامل للمبرد ٤٨٨/١ وتاريخ الطبري ٢٦٦/٣) ومنهم زهير بن جذيمة العبسي ولها منه اثنا عشر ولداً احدهم قيس

---

[1] العذيق النضيد بمصادر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ص٢١٣-٢٢٣.

بن زهير الذي قاد بني عبس في ملحمة داحس والغبراء وقد قتل أكثرهم في الجاهلية ، وأخوه ورقاء بن زهير له شعر يذكر فيه أمه تماضر وأباه زهيراً (الجمهرة للكلبي/ ١٧٥ ، العقد الفريد : ١٣٥/٥ – ١٣٧ ، الكامل لابن الاثير ٥٥٨/١ ، امثال العرب للمفضل الضبي : ٣٦ والنقائض لأبي عبيدة : ٩٧/١ – ٩٨ وغيرها) وكان دريد بن الصمة الجشمي الهوزاني قد خطبها فردته وهو صديق أخيها معاوية وعضيده والآخذ بثاره لحلف بينهما ولابد ان يكون عمرهما متقارباً ودريد هو الوحيد من جيل تماضر الخنساء الذين أدركوا الإسلام ، وقد قتل دريد يوم حنين في السنة التاسعة للهجرة وعمره بين ١٥٠-٢٠٠ سنة (الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٣٤٣/١، المعمرون للسجستاني : ٢٧، الأغاني للأصفهاني : ٣/١٠، ٣٢/٢٢، ٣٣ و ٧٦/١٥) .

أما تماضر الخنساء فقد ماتت يوم (ذي حسى) وهو من أيام داحس والغبراء قتلها سيد بني ذبيان حذيفة بن بدر الفرازي فقتله ابنها قيس بن زهير بن جذيمة العبسي شر قتلة (الأغاني : ٢٠٨/١٧ ، النقائض لأبي عبيدة : ٩٧/١ ، أمثال العرب للمفضل الضبي : ٣٦) .

ولم يدرك الإسلام أحد من والديها واخوتها الثمانية وأزواجها الخمسة وأولادها منهم وأولادهم من غيرها سوى أبي شجرة عبد العزى والعباس بن المرداس السلمي وليس لها شعر في الإسلام .

أما الرواية التي زعمت أنها وفدت مع قومها على النبي (ص) وانه استنشدها واعجب بشعرها وإنها شهدت مع أربعة من أبنائها معركة القادسية فهي رواية الزبير بن بكار الذي قال عنه احمد في كتابه (الضعفاء) انه يختلق الأخبار ويروي الأحاديث المنكرة عن المناكير وينسبها إلى النبي (ص) (السيوطي : شرح شواهد المغني ٢٥٤/١ ، الذهبي في ميزان الاعتدال ٦٦/٢، وابن حجر في تهذيب التهذيب: ٣١٣/١).

وأما الخنساء التي شهدت يوم القادسية بأشبالها الأربعة فهي امرأة من النخع وهي رواية الطبري (التاريخ : ٥٤٤/٣) وابن اعثم الكوفي (الفتوح :٢٠٦/١) وابن الجوزي البغدادي (صفة الصفوة ٣٤٧/٤) .

ومن القدماء الذين أشاعوا رواية ابن بكار ابن عبد البر في الاستيعاب (١٨٢٧/٤) وابن الأثير في أسد الغابة (٩٠/٧) والنويري في نهاية الارب (٢٣/١٨، ٢٦ و٢١٥/١٩) وابن خلدون في

العبر (م٢ ق١ ص٦٣٧) وابن حجر في الاصابة (٤/٢٨٠،٢٧٩) والسيوطي في شرح شواهد المغني (١/٤٥٢) .

أما من المعاصرين فجرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية (١/٧٤١) والبستاني في دائرة المعارف (٨/٤٨٥) والزركلي في الإعلام (٢/٨٦) وجواد علي في المفصل (٩/٨٧٧) وغيرهم من الذين ساقوا رواية ابن بكار على علاتها قبل ان يسألوا أنفسهم : أين خطب تماضر الخنساء التي حرضت بها قومها بني الشريد في حروب الجاهلية لو كانت خطيبة وأين شعرها الإسلامي لو كانت صحابية ، ولماذا لم ترث أبنائها الأربعة – وهم فلذات أكبادها – وقد استشهدوا أربعتهم في ساعة واحدة وهي النائحة الثكلى التي رثت صخراً وبكته حتى عميت وماتت على زعم ابن بكار)).

انتهى ملخصاً .

أقول : بغض النظر عن المناقشات في بعض التفاصيل فان المهم وحدة النتيجة مع ما توصلنا إليه.

ثمرة البحث

بعد هذا التمحيص الذي تعرضت له الرواية فقد أسفرت الحقيقة عن وجهها ولاح الصبح لذي عينين بان الرواية من نسج الوضاعين الكذابين وقد راق للزبير بن بكار – مصدرها الوحيد – بثها لكي يغطي على مأثرة أم البنين فاطمة بنت حرام الكلابية زوجة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) التي تلقت نبأ استشهاد بنيها الأربعة العباس وعبد الله وعثمان وجعفر في معركة كربلاء سنة ٦١هـ بقولها (لحمد لله الذي جعل أولادي فداءً لأبي عبد الله الحسين (عليه السلام) والحسين يعني رسول الله (ص)والإسلام فهم فداءً للإسلام ولكن الزبير هذا وهو من نسل عبد الله بن الزبير الذي ترك الصلاة على محمد وآل محمد أربعين جمعة في خطبه حتى التاث عليه الناس فقال ان له (ص) أهل بيت سوء إذا ذكرته اشرأبت نفوسهم إليه وفرحوا بذلك فلا احب ان اقرّ أعينهم بذلك[1] وقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) فيه قوله : ما زال الزبير منا أهل البيت حتى أدرك فرخه ونهاه عن رأيه[2] وينسب مثل هذا القول لأمير المؤمنين علي (عليه

---

[1] الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي، ج١ ص٢٩٤.

[2] معجم رجال الحديث، السيد الخوئي، مج١٠ ص١٩٤.

السلام) قال : ما زال الزبير يعد منا أهل البيت حتى نشأ عبد الله[٣] وهذا الفرع من ذاك الأصل ومن يشابه أباه فما ظلم ، على ان انحراف الزبير بن بكار عن أهل بيت النبوة عليهم السلام معروف ، يقول المرزباني : انحراف الزبير بن بكار عن أهل البيت (ع) ظاهر[٤] وللزبير هذا هنات وهنات نسبها إلى آل بيت الرسول (ص) الذين طهرهم الله واذهب عنهم الرجس فعند الله جزاءه وهو خير الحاكمين.

والتاريخ الذي كان ملكاً للحكومات الظالمة الجائرة تأثر كثيراً بهذا الدس والتحريف فقلب الحقيقة خيالاً والخيال حقيقة ووجد الحكام في مثل هؤلاء الوضاعين ما يحقق لهم أمانيهم في طمس كل فضيلة لآل الرسول (ص) وصنع أبطال وهميين قبالتهم وكانت أم البنين إحدى ضحايا هذه السياسة الظالمة فقد اندرست مأثرتها وأختلست الخنساء بغير حق مكانها ولكن ...

يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

---

[٣] الاستيعاب لابن عبد البر المطبوع بهامش الاصابة لابن حجر مج٢ ص٣٠٤.

[٤] الموشح ص٥٤ نقلناها عن كتاب (السيدة سكينة بنت الحسين (ع))للسيد عبد الرزاق الموسوي المقرّم.

المصادر

١- الاستيعاب لابن عبد البر.

٢- الإصابة لابن حجر.

٣- ميزان الاعتدال للذهبي.

٤- الجرح والتعديل للرازي.

٥- تهذيب التهذيب لابن حجر.

٦- الشعر والشعراء لابن قتيبة.

٧- تاريخ الطبري.

٨- الإعلام للزركلي.

٩- ديوان الخنساء.

١٠- الغدير للأميني.

١١- معجم رجال الحديث للسيد الخوئي.

١٢- الفرائد الغوالي للشيخ محسن الجواهري.

١٣- الخنساء شاعرة بني سليم للدكتور محمد جابر عبد العل الجبني .

١٤- السيدة سكينة بنت الحسين عليها السلام للسيد عبد الرزاق المقرم .

١٥- الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي.

١٦- العذيق النضيد بمصادر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة للدكتور احمد الربيعي.

ومصادر أخرى.